المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فإنّ الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم الحياة على ظهر الأرض، وجعل الله عز وجل الأيام بين الناس ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾آل عمران١٤٠، وبعد أن تخلّى عن الحق أهله، أصبح الأمر للباطل وأهله.

ولقد ابتليت الأمة بنكبات وأزمات كثيرة خلال مراحل التاريخ، بدءً بأزمة الشرك بالله ، ومرورا بأزمة الردة، والهجمات التترية على بلاد الإسلام، والحروب الصليبية، وزوال ظل الخلافة الإسلامية، واغتصاب القدس وضياع الأندلس...

ومع ذلك كله... فإنّ أعظم ما أُصيب به المسلمون اليوم هو سيطرة روح الانهزام عليهم أمام أعداء الإسلام، وضعف الهمة من بعث روح الانتصار والعزة والمغالبة، بل العجز عن مجرد التفكير في ذلك...حتى بلغت امتنا في ذلك مبلغا من التقهقر والتخلف ممّا لا يخفى على أحد...

بُليت الأمة في العصر الحديث بأخطر هزيمة ألا وهي ((الهزيمة النفسية)) لأنّ المهزوم نفسيا مشلول الفكر والحركة.

ونحن اليوم في أشد الحاجة إلى تعرية هذا المرض الخطير الذي يقلب الموازين، ويعكس المفاهيم، حتى أصبحنا نظن العدو صديقا، والأبيض أسود، والغاش ناصحا، والناصح غاشّا.

وهذا المرض خطير جدا سواءٌ كان في محيط الفرد نفسه، أو في محيط الأسرة، أوفي محيط المجتمع.

وإذا أردنا أن نحوّل الهزيمة النفسية- بعد شعورنا بوجودها- إلى دافع يفجّر روح التحدي، ويرفض الواقع المزري، فلنبدأ خطوة في الطريق الصحيح، وذلك بتطهير

أنفسنا من أخلاقيات الضعف والخوف وترك الانعزال في دائرة الهموم الفردية التي تمهد لقبولنا الاستعباد والخضوع.

وأرى من الضرورة أن أوكد إلى أن واجب كل مسلم واعٍ مدرك للخطر، منتبه لما يراد بالأمة وما تساق إليه منذ أزمان... أن يعمل بكل ما أوتي من قوة، وبكل وسيلة ممكنة لتبصير الأمة بالأخطار التي تهددها، وتهدد كل فرد من أفرادها...

ومن هذا الواجب شرعت بكتابة هذه السطور المتواضعة في هذا البحث الذي اشتمل بعد هذه المقدمة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الهزيمة النفسية (أهدافها، أعراضها،أسبابها).

المبحث الثاني: وسائل الهزيمة النفسية وأساليبها وخططها.

المبحث الثالث: صور تاريخية للهزيمة النفسية وعلاجها.

ثم الخاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : الهزيمة النفسية (أهدافها، أعراضها،أسبابها)

المطلب الأول: مفهوم الهزيمة النفسية:

في البدء لابدّ من توضيح مصطلح الهزيمة النفسية فهو: استعمار جديد يعمد إلى استعمار النفوس والعقول والأفئدة بدلاً من استعمار الأرض، وهذا يعني السيطرة على كل شيء، فتكاد هذه النفوس ألاّ ترى إلا بعينه، ولا تسمع إلا بإذنه، ولا تفكر إلا بعقله، تكره ما يكره، وتهوى ما يهوى، وتفني حياتها في سبيل رضاه، ثم ليتها تحظى به، فربما كان نصيبها النقمة والازدراء."١"

والهزيمة النفسية أشد فتكا من الاستعمار العسكري، فهو شديد المراوغة والخداع، سريع التطوير لخططه الخبيثة، وطمعه لا تحده حدود.

واستهدف العدو امتنا الإسلامية بهذا الأمر لما فيها من طاقات متنوعة، وثروات طبيعية هائلة، ولما تحمل في عقيدتها ودينها من مقومات الصمود أمامه فلم ينس العدو هزيمته النكراء يوما ما ـ كما حدث في الحروب الصليبية، وفي حروب التحرير من الاستعمار الغربي في القرن العشرين ـ لذا طوّر خططه ووسّع دائرة أهدافه، ونوّع وسائله، وغيّر خطابه، فهو يريد هذه المرة إلا يفلت أحد من قبضته، ولا يحيد عن سلطانه، يريد من الجميع أن يتغنّوا بمآثره ويعشق ثقافته، ويتمنى رضاه، ويكون طوع هواه.

المطلب الثاني: أهداف الهزيمة النفسية

يهدف العدو من وراء الهزيمة النفسية إلى أمرين؛هما:

١. أن يشعر الأمة بمرارة العجز والقهر واليأس، وتزول لديها أية بارقة أمل في نهضة حضارية ومستقبل واعد.

وإذا تمكّن العدو من تحقيق هذا الهدف فإنّ ما سواه أهون، فالأمة مهزومة نفسيا ليس لها- إن لم تتدارك نفسها ـ إلا خياران:.

أ. إما أن تنتحر وتفنى.

ب. أو تلقي بنفسها في أحضان العدو ،وتمكنه من نفسها يعبث بها كيفما يشاء.

٢. أن تدين الأمة له بالتبعية والولاء التام، فيتحقّق له ما أراد من السيطرة عليها ثقافيا وسياسيا واقتصاديا...الخ."٢"

فالهزيمة النفسية أقسى أنواع الهزائم البشرية، بحيث تفقد الأمة معها كيانها، وتشعر بالتخبط والاختلال وتسلم قيادها وهي مخدّرة إلى هذا العدو ليوجهها كيف يشاء، وأين شاء ، ومتى شاء.

فهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مدى ذكاء العدو وضراوته، فقد رأى أنّ الاستعمار العسكري ـ بمفهومه التقليدي ـ استعمار له نهاية، لابد أن يُقضى عليه يوما ما، وحينئذ يخرج منهزما منبوذا، وقد تكبّد خسارة مادية ومعنوية وعسكرية فادحة.

أما إذا تمكّن من هزيمة الأمة نفسيا فإنه يحقق بها جميع مكاسبه بمفاتيح التحكم عن بعد، وبأقل جهد؛ يأمر فيطاع ، ويطلب فيلبّى طلبه فالعقول مخدرة، والنفوس أشبه ما تكون نائمة بفعل الهزيمة النفسية.

المطلب الثالث: أعراض الهزيمة النفسية:

هناك أعراض للهزيمة النفسية من أهمها:

١) الواقع الأليم واليأس من إمكانية التغيير:.

إن كثيرا من المسلمين قد هبّت عليهم رياح عاتية من القنوط واليأس، وهُزموا هزيمة نفسية أمام هذا الواقع الأليم ، بل استطيع القول إنّ هذه الهزيمة النفسية أصبحت تمثل معتقدا جديدا عند الكثيرين.

وقد وصف رسولنا ﷺ هذه النفسية المهزومة وصفا دقيقا كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهَم" وفي لفظ: "فهو أهلكُهم" "٣" بالضمّ والفتح والضمّ أشهر كما قال النووي: فهو أهلكهم، أي: حكم عليهم بالهلاك.

وقد اتفق أهل العلم: أن من قال ذلك على سبيل الازدراء والتحقير فهو مذموم، أما من قال ذلك على سبيل أنه ينظر تقصيرا في نفسه وعند إخوانه وهو يقول ذلك لتحفيز الهمم للعمل لدين الله تبارك وتعالى فهذا لا بأس به."٤"

٢) الانطواء الذاتي وترك الآخرين:.

وذلك من منطلق مقلوب لقول الله جل جلاله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾المائدة ١٠٥ ، فقديما خشيَ أبو بكر الصديقﷺ هذا الفهم المقلوب للآية فارتقى المنبر، وقال: أيّها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: " إنّ الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك الله أن يعمهم جميعا بعقاب من عنده" وفي لفظ " ثم يدعونه فلا يستجاب لهم"."٥"

أصبح المرء المسلم ينظر إلى المنكر ثم يمضي وكأنّ الأمر لا يعنيه... مع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو شرط من شروط خيرية أمة سيدنا محمدﷺ قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾.آل عمران١١٠

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ قال:" بلغوا عني ولو آية" "٦" وفي حديث عبد الله بن مسعودﷺ : أن النبي ﷺ قال: " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا وكان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"."٧"

ومن حديث أبي سعيد الخدريﷺ أن النبي ﷺ قال: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"."٨"

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضوابط شرعية معلومة منها:

١. أن يكون النهي عن منكر مجمع عليه.
٢. أن لا يؤدي النهي عن المنكر إلى منكر أشد منه.
٣. أن يكون المنكر معلوما وظاهرا من غير تجسس.
٤. التحلّي بالرفق في إنكار المنكر.
٥. الاستعانة ببعض المباح لتغيير المنكر.
٦. اختيار الوقت المناسب في إنكار المنكر.
٧. أن يكون المنكر مقدورا عليه. "٩".

٣) الدفاع عن الإسلام كـ(متّهم):

بين الحين والآخر يُثير الغرب شبهات خطيرة حول الإسلام ، من بينها: أن الإسلام دين إرهاب ودين تطرّف، وان الإسلام ظلم المرأة، والمرأة في الإسلام مهملة، والقرار في البيت سجن مؤبد، ثم لماذا تزوج النبيﷺ تسعا؟ ولا يتزوج الرجل المسلم إلا أربعا؟ ثم لماذا فرض الإسلام الحجاب على المرأة المسلمة؟

يُثيرون الشبهات حول هذه القضايا وغيرها، يطعنون في ثوابت هذا الدين، ومكمن الخطر أنه قد انبرى للردّ على هذه الشبهات فريق من أهل العلم في صيغة المدافع عن الإسلام من منطلق أن الإسلام متّهم في قفص اتهام، ثم جاءت الردود مهزومة نفسيا، والله جل وعلا يقول: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾.الكهف٢٩

فكان من الواجب أن تخرج الردود على هذه الشبهات قوية بقوة الإسلام، وعظيمة بعظمة هذا الدين.

٤) الاستحياء من إظهار الهوية الإسلامية:.

يستحي كثير من المسلمين أن يظهر هويته إن كان بين غير المسلمين...في الوقت الذي نرى فيه أهل الكفر يعتزّ أحدهم بإظهار دينه وإظهار هويته...

الكثير من المسلمين انصهروا في بوتقة الأفكار والمناهج الغربية، وراحوا يقلّدونهم تقليدا أعمى في الفكر والسلوك، بل وقل في الملبس والزينة!!

ويقول النبيﷺ من حديث أبي سعيد الخدريرضي الله عنه " لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لتبعتموهم" قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال:"فمن؟" "١٠"

٥)إقصاء الشريعة الإسلامية:

ومن أخطر هذه الأعراض للهزيمة النفسية إقصاء الشريعة الربانية، واستبدالها بالمناهج الغربية.

ظنّت الأمة المهزومة عسكريا واقتصاديا ونفسيا أنّها بتقليدها للغرب الذي انتصر في الجولة الأخيرة سوف تخرج من حال الذلّ والهوان هذه... إلى حال العزّ والكرامة، فأقصت شريعة الإسلام بالجملة، وذهبت تحكم بشريعة الغرب في حياتها وبلادها، والله جل وعلا يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾النساء ٦٥

ويقول تبارك وتعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾الأحزاب٣٦، ويقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾النساء ٦٠ ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾الحجرات ١

نحن لا ننكر أن تنقل الأمة أروع ما وصل إليه الغرب في الجانب العلمي والمادي، ما دام هذا لا يصطدم مع عقيدتنا وأخلاقنا وديننا ؛ فعقيدتنا وإيماننا وروحانيتنا وأخلاقنا تؤخذ من منهج ربنا جل وعلا ، ومنهج نبيناﷺ.

المطلب الرابع: أسباب الهزيمة النفسية

إن أعراض الهزيمة النفسية ـ التي ذكرت آنفا ـ هي نتيجة حتمية لمجموعة من الأسباب؛ من أهمها:.

١) الوهن الذاتي: إنّ المنهاج الإسلامي يبيّن في تشخيصه لنكبات الأمم؛أنّ هذه النكبات ومنها الهزيمة النفسية هي النتيجة الحتمية لما كسبت أيدي أفرادها...

ففي القران الكريم: التأكيد على هذه السنة العامة التي لا تتخلّف ولا تتبدّل:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾الشورى٣٠ ،

ولذلك فإنّه حين تساءل المسلمون بعد موقعة أحد ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ ﴾جاءهم الجواب من الله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾.آل عمران ١٦٥

وفي السنة: يخبر النبيﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان؛ إن مصائب أمتنا إنما تكون بما في أنفسنا؛ فيقول عليه الصلاة والسلام:"... وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة(قحط شامل أو مجاعة مهلكة) وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ﴿ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ فيستبيح بيضتهم، وإن ربّي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، واني أعطيت لأُمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلّط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال: من بين أقطارها(يعني أهل المعمورة) حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا"."١١"

فالحديث كما نرى ظاهر بأن تسلط العدو علينا إنما هو بسبب ما في أنفسنا وبنائنا الداخلي.

ويؤكد النبيﷺ هذا المعنى في حديثه الآخر:" يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال" بل انتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم

وليقذفن الله في قلوبكم الوهن" قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال" حبّ الدنيا وكراهية الموت"."١٢"

فتداعي الأمم إنما يكون بسبب من ((الوهن الذاتي)) في الأمة، ذلك ((الوهن)) الذي يجعل الأمة بمثابة غثاءٍ بشري تخاف من تكاليف مجابهة الظلم في الداخل، وتجبن عن صدّ الغزاة في الخارج.

وكما تؤكد آيات القران الكريم وأحاديث رسول اللهﷺ : أن سبب الهزائم ينشأ من داخل الأمة بمرض(الوهن) الذي لا ينتج إلا الاستسلام للأعداء، والكفّ عن منازلتهم.

ونظرة واحدة في تاريخ المسلمين تؤكد أن ما لحق بالأمة ولا يزال يلحق بها، إنما هو في الحقيقة عقوبات مستحقة... وإن كل أمة تستسلم للنوم، فإن الله يبعث عليها سوطا ليوقظها... سواءً كان هذا (السوط) عدوا من الخارج، أو اضطرابا في الداخل.

إن من يرى الحياة من خلال واقعه، وليس من خلال أمانيه... يدرك أن واقع أمتنا لا يخرج عن أن يكون النتيجة البديهية للمقدمات التي صغناها نحن بأيدينا ؛وأنه لو زالت أمامنا كلّ عقبة خارجية تحول بيننا وبين التغيير؛لما أمكننا أن نصنع شيئا قبل أن نغير ما بأنفسنا وداخل أمتنا،إن سنّة الله تعالى التي تحكم قيام الأمم أو سقوطها هي: أنّ (السقوط) و(الهزيمة) نتيجة تتكرر كلّما جاء (سببها) وهو(الوهن الذاتي).

ولقد فطن لتلك (السنة) أعداء أمتنا؛ بل وتحرّكوا من خلالها قديما وحديثا؛ وإليك هذه القصة التي تثبت ما قلنا:

(أرسل {يزد جرد} كسرى الفرس إلى ملك الصين يطلب منه العون والنجدة بعد هزيمته في معركة نهاوند، فقال ملك الصين لرسول كسرى: قد عرفتُ أنّ حقاً على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فقال رسول يزد جرد: سلني عمّا أحببت،

فقال ملك الصين: أيوفون بالعهد؟

قال رسول يزد جرد: نعم.

ملك الصين: وماذا يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟

رسول يزد جرد: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إما دينهم، فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، أو الجزية والمنعة، أو المنابذة.

ملك الصين: فكيف طاعتهم أمراءهم؟

رسول يزد جرد: أطوع قوم لمرشدهم.

ملك الصين: فما يحلّون وماذا يحرّمون؟ فيخبره رسول يزد جرد.

ملك الصين: أيحرّمون ما حلل لهم أو يحلّون ما حرّم عليهم؟

رسول يزد جرد: لا.

ملك الصين: فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبدا حتى يحلّوا حرامهم، ويحرّموا حلالهم...

ثمّ كتب ملك الصين كتابا إلى يزد جرد؛ جاء فيه: إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين؛ الجهالة بما يحقّ عليّ، ولكنّ هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يطاولون الجبال لهدّوها، ولو خلّي سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف، فسالمهم وارض منهم بالمساكنة، ولا تهيّجهم ما لم يهيّجوك."[١٣]"

هذه هي حكمة ملك الصين: إن هؤلاء القوم لا يهلكون أبدا حتى يحلّوا حرامهم ،ويحرّموا حلالهم...

إنّ الهزائم تبدأ من هنا... من داخل الأمة، وليس من خارجها... وهذه الحكمة جديرة بأن نضعها نصب أعيينا ونحن نقرأ الماضي، ونبصر الحاضر، حتى نقدر على القراءة الصحيحة لمستقبلنا...

٢) ضعف الإيمان بالله تعالى:. وهذا السبب من أخطر أسباب الذلّ والهوان(الهزيمة النفسية)؛ فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة تنظم كلّ شؤون الحياة، ولا يقبل الله من قوم شريعتهم إلا إذا صحّت عقيدتهم.

إنّ الله جل وعلا وعد بالنصر والتمكين والعزّ لكن للمؤمنين، فإن لم تجد عزّاً أو نصراً أو استخلافاً أو تمكيناً، فالإيمان الذي يستحق به المؤمنون هذا لم يتحقّق بك؛ لأن الله تعالى يقول:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾الروم ٤٧ ،ويقول تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾المنافقون ٨ ، ويقول تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.النور ٥٥

فلمّا تحقّق الإيمان بصحابة رسول اللهﷺ استطاعوا أن يكونوا قادة للأمم، وأن يتغلّبوا على العالم القديم بجبروته وإمبراطوريته.

٣) الجهل بطبيعة الطريق إلى الله تعالى:. إن الطريق إلى الله تعالى ذو تكاليف لابد من الصبر عليها.

والذي يجهل طبيعة هذا الطريق مع أول محنة ربما ينحرف عن الطريق، بل وينهزم؛هذا الطريق ذكره الله تعالى في القرآن الكريم بآيات كثيرة منها:قال الله تعالى:

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾العنكبوت ٢ وقال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.البقرة٢١٤

هذا هو الطريق، ولقد صبر رسول اللهﷺ وصحبه الكرامرضي الله عنهم على لأواء الطريق؛ لأنهم علموا طبيعة هذا الطريق، ونالوا رضا الله تعالى ورضا رسوله عليه الصلاة والسلام.

٤) النظرة الضيّقة للزمان والمكان:. ولو نظرنا نظرة أوسع من نظرتنا لأنفسنا أننا مهزومون نفسيا، لعلم علم اليقين أن أبناء الطائفة المنصورة لا يخلو منها زمان بموعود رسول اللهﷺكما في حديث معاويةرضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرّهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون على الناس"، وفي لفظ " وهم كذلك"."١٤"

ابتُليت الأمة بنكبات أشد وأزمات أخطر، فقد هجم التتار على الأمة ودمّروا عاصمة الخلافة بغداد، وذبحوا المسلمين أربعين يوما متتالية حتى مُنعت صلاة الجماعة أربعين يوما في كل مساجد بغداد، ولكن غيّر الله تعالى الأحوال، ونصر الله عزّ وجلّ المسلمين على التتار."١٥"

ثمّ اشتعلت شرارة الصراع الصليبي، واستولى الصليبيون على القدس ، ومنعوا الصلاة في المسجد الأقصى واحدا وتسعين عاما، ووضعت الصلبان على كل جدران الأقصى... ونصر الله تعالى المسلمين على يد القائد صلاح الدين الأيوبي{رحمه الله}."١٦"

ثمّ في صحن الحرم المكي جاء أبو طاهر القرمطي، فاقتلع الحجر الأسود من الكعبة، وبقي الحجر الأسود بعيدا عن الكعبة واحدا وعشرين عاما..."١٧" وغيّر الله تعالى الحال وردّ الحجر الأسود إلى موضعه... ونصر الله الإسلام والمسلمين.

٥) تجاهل الطاقات والإمكانيات الهائلة لدى الأمة:. تملك الأمة من الطاقات العلمية والمادية والعددية والعقلية والفكرية والاقتصادية والمناخية ما تستطيع به أن تستردّ مكانتها وكرامتها...لكنّها الهزيمة النفسية.

الأمة قد حباها الله تعالى بمناخ وموقع استراتيجي، وبترول...لو أحسنت الأمة استغلالها لقلبت الموازين بالكلية... لكنّها تتجاهل هذه الطاقات والقدرات الهائلة الجبارة!!

ترتّب على كلّ ذلك... أنّ الأمة لم تعد تفكر في الجهاد في سبيل الله، فأصابتها الهزيمة النفسية والذلّ والهوان.

عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا تبايعتم بالعينة، ورضيتم بالزرع، وتبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم"."١٨"

٦) غفلة الأمة:. وممّا شجّع العدو على بسط نفوذه، وأعانه على تحقيق أهدافه، غفلة الأمة العربية والإسلامية، فنحن أمة نكاد لا نستوعب دروس الأحداث الماضية، نعتمد على العاطفة دون أن تساندها خطط مدروسة وتحليلات علمية متأنية، وبعضنا يدير ظهره للماضي، ويرضى بالواقع ويسقط المستقبل من حساباته، ومن وخزه ضميره فإنه يهرب من واقعه بالنكت تارة، وبالمباريات تارة، وبالأغاني والأعمال الدرامية تارة أخرى، حتى يظنّ من يشاهد قنواتنا الفضائية أننا أمة لا تعرف الهموم وترفل بالنعيم، وتبسط نفوذها على العالم أجمع!!

أضف إلى ذلك بساطة بعض أبناء الأمة حين ينبهرون بأقنعة العدو، فيحسبون أنه قد جاء بالخير للبشرية بهذه العولمة وغيرها، ويتحمسون لها ويدعون إليها لما يصاحبها من أحلام وردية...

ونجد أحيانا بعض العائدين من الدراسة بالغرب يثورون على مبادئهم الإسلامية والتقاليد العربية الراسخة، ويروّجون لأفكار الغرب دون تمييز بين الغثّ منها والسمين.

المبحث الثاني

((وسائل الهزيمة النفسية وأساليبها وخططها))

المطلب الأول: وسائل الهزيمة النفسية

يلجأ الأعداء إلى وسائل فتّاكة، يتخذ من بعضها قناعاً يخفي تحته أهدافه الحقيقية، فإذا ما اكتشفت حقيقتها أسفر عن وجهه الحقيقي المرعب، ومن أهم هذه الوسائل:.

١) وسائل الإعلام:. لقد أدرك العدو أهمية وسائل الإعلام في عصر من يمتلك فيه هذه الوسائل يمتلك العالم."١٩"

فلا عجب إذن... إذا علمنا أنّ هناك حوالي(١٢٠) وكالة إعلام دولية "٢٠"في العالم ؛ منها (٣٠) وكالة أمريكية، لها قرابة(٢٠٠) فرع توكيل في العالم العربي، وميزانية هذه الوكالات وحدها تعادل الميزانية المخصصة للتعليم في البلاد العربية"٢١"، والإعلام الغربي عامة يمثّل أكثر من (٩٠%) من الإعلام العالمي."٢٢"

والجدير بالذكر أن اليهود يسيطرون على الإعلام الأمريكي، سواء فيما يتعلق بالشبكات التلفزيونية مثل شبكة(سي إن إن)،وشبكة (أي بي سي) وشبكة (سي بي إس) أو فيما يتعلق بالصحف حيث يمتلك اليهود أكبر ثلاث مؤسسات صحفية امريكية مؤثرة هي: (نيويورك تايمز)و(واشنطن بوست)و(دول ستريت جورنال)، أو فيما يتعلق بالمجلات الأسبوعية؛ حيث يمتلك اليهود أهم هذه المجلات وهي: مجلة(التايم) ومجلة(نيوز ويك)، ومجلة (يو إس نيوز)."٢٣"

وإذا تساءلنا: ما دور وكالة الأنباء العربية والإسلامية في الساحة الإعلامية؟

فالإجابة تبدو مخزية؛ وذلك أن هذه الوكالات العربية والإسلامية تعمل لصالح وكالات الأنباء الأجنبية، خاصة الوكالات الخمس الكبرى التي تحتكر الأخبار والمعلومات بنسبة(٨٠%) وهي:

(رويتر) و(اسوشيتد برس) و(يونايتد برس انتر ناشيونال) و(وكالة الأنباء الفرنسية) و(وكالة تاس الروسية)."٢٤"

ولا تجد وكالات الأنباء العربية والإسلامية أمامها إلا أن تعتمد عليها في نقل الأخبار وتغطية الأحداث، وتعدّ الدول العربية والإسلامية دولاً مستهلكة للإعلام ومستوردة لوسائل الاتصال ضمن مفهوم السوق."٢٥"

هذا فضلا عن: أن المسلسلات والبرامج الدرامية في الفضائيات العربية تقريبا (٧٠%) منها أمريكية؛ علما بأن القنوات الفضائية الأمريكية لا تعرض أكثر من (٢%) فقط من المسلسلات والبرامج غير الأمريكية ، ولا يخفى على كلّ ذي بصيرة أن أمريكا لا تصدّر إلينا إلا إنتاجها الثقافي الرديء الذي يحمل في طياته قيماً تتعارض مع منظومة قيمنا وتقاليدنا العربية والإسلامية."٢٦"

وفي ندوة (همر شولد) الدولية التي عقدت في نيويورك عام ١٩٧٥م أكّد المتحدثون:(أنّ أنظمة الأخبار والحكومات والمصالح العسكرية والتجارية الغربية تقوم . عمدا. بالتلاعب بتدفق الأخبار العالمية لصالحها، وذلك بهدف الإبقاء على العالم الثالث في حالة تبعية)."٢٧".

٢) ثورة المعلومات: استطاع الأعداء أن يتخفّوا تحت قناع ثورة المعلومات ويدسّ لنا السمّ في العسل، فمثلا "الإنترنت" شبكة المعلومات الدولية لا يخفى ما لها من أهمية لكنّها تعدّ مصدر خطورة لنا، وذلك أننا نستخدمها دون فكر يديرها، كما تحوي هذه الشبكة معلومات ومواقع تروّج لثقافة الغرب ولغته، فتقريباً(٨٨%) من المادة المعروضة فيها باللغة الانكليزية وحدها و (٩٠%) بالألمانية، و(٢%) بالفرنسية."٢٨"فأين نصيب اللغة العربية؟!!

٣) قناع الاقتصاد والسياسة: يعمد العدو إلى تنفيذ أهدافه رغباً أو رهباً فيعد بالامتيازات الاقتصادية تارة، وبخلق فرصة مناسبة للاستثمار الاقتصادي، وبحبوب المعونات الاقتصادية تارة أخرى...

هذه إن أطاعت... وإلاّ فالضغوط السياسية والاقتصادية وضغوط الديون أو الانهيار الاقتصادي أو الحصار الاقتصادي."٢٩"

ويستخدم لغة السياسة تارة أخرى فيكون الوعيد والتهديد والحملات الشعواء ، والتقارير المزيّفة، والاتهامات برعاية الإرهاب، والتحذيرات لشعوبهم ورعاياهم الأجانب من دخول هذه الدولة أو تلك، لأنها تدعم الإرهاب، أو تكبت الحريات، وتضطهد الأقليات... إلى غير ذلك.

٤) الرعب العسكري والنووي:. فإن لم تُجدِ لغتا الاقتصاد والسياسة نفعا، برزت لغة الرعب العسكري والنووي، وتحركت الأساطيل البحرية، وحاملات الطائرات، والقنابل الذكية، وصواريخ (كروز) والغواصات النووية...

فنراه يرسل لشعب العراق صواريخه ساعة المنام ليشاركهم الاحتفال بشهر الصيام!!، ويتأسّى لأحوال مرضى السودان وقلّة الدواء، فليكن وجهة الصاروخ مصنع الشفاء!!

المطلب الثاني: أساليب الأعداء في تحقيق الهزيمة النفسية في الآخرين وخططه:

لا نستغرب إذا قلنا: أن عدونا منظم الفكر، عظيم الطموح، ولذا يتخذ أساليب ناجحة، ويرسم خططا إستراتيجية هادفة لتحقيق أهدافه المرجوة، واستغلال وسائله المتاحة أفضل استغلال.

ومن أهم أساليبهم في تحقيق أهدافهم:.

١. الدعاية:. وهي باختصار: (استخدام أي وسيلة إعلامية عامة أو شعبية، بقصد التأثير في عقول أفراد جماعة معينة أو في عواطفهم من أجل تحقيق غرض عام معين، سواء كان هذا الغرض عسكريا أو اقتصاديا أو سياسيا وذلك في إطار خطة موضوعة منظمة)."٣٠"

وهذه الدعاية تهدف إلى إقناع الآخرين والتأثير فيهم لكي يسلكوا اتجاها معينا أو سلوكا محددا تحت تأثير الأفكار الدعائية، ويقبلوا وجهات نظر أصحاب هذه الدعاية، ويعتنقوا آراءهم وأفكارهم ومعتقداتهم."٣١"

٢. إثارة الرعب والفوضى في البلاد: بغية السيطرة الكاملة على الشعوب والتغلب عليها.

٣. افتعال الأزمات: لتؤثر في نفسية الخصم، وتشتت أفكاره، وتظهر عجز الحكومات عن صيانة الأمن في البلاد، وإقناع الرأي العام العالمي بوجود معارضة شعبية لها."٣٢"

أما عن خططه الإستراتيجية في تحقيق الوسائل والأساليب، فأهمها ما يأتي:.

١. إشاعة روح العجز والاستسلام واليأس؛ حتى لا تقوم للشعوب قائمة، وبهذا يهيئ النفوس والعقول لتقبّل أفكاره، ثم الترويج لها والدفاع عنها."٣٣"

٢. تشويه صورة العربي المسلم: عمدت الدعاية الغربية إلى تشويه صورة الفرد العربي والمسلم في وسائل الإعلام بصورة فجّة، وجعله رمزا للتخلف والإرهاب...

٣. تشويه التاريخ والرموز العربية والإسلامية: لا يُحسد تاريخنا العربي والإسلامي على ما أصابه من تشويه وتحريف على أيدي أعدائه، فقد تعمّدوا تشويهه وتصوير الإسلام على أنه دين إرهابي انتشر بحد السيف، وأنه يكبّل حرية الفكر، وصوّروا قادته على أنهم لم يكونوا إلا أصحاب نزوات ومطامع لا أصحاب مبادئ ورسالة ، ويقولون: إنّ الحضارة الإسلامية ما هي إلا حضارة زائفة عاشت عالة على غيرها من الحضارات التي سبقتها؛ كالحضارة اليونانية والرومانية والهندية!!"٣٤"

وامتدّ التشويه إلى بعض الرموز العربية والإسلامية المعاصرة من قادة ومصلحين ودعاة، بُغية أن يفقد أبناء الأمة الثقة في ماضيهم وحاضرهم، ويدبّ

اليأس في نفوسهم وبالتالي فلا أمل في تغيير الواقع، وتنصرف الجهود عن التخطيط للمستقبل؛ فتقع الأمة في نهاية المطاف فريسة للهزيمة النفسية.

٤. الغزو الفكري والثقافي: وهو من أخطر خطط الأعداء، ويعتمد بشكل رئيس على الإعلام الغربي وما سار في فلكه من الإعلام العالمي.

٥. علمنة المجتمعات وإضعاف الوازع الديني: أدرك الأعداء قديما سرّ قوة المسلمين وصمودهم في وجهه وهو الدين الإسلامي متمثلا بعقيدتهم الصافية؛ فوضع على عاتقه رسم الخطط الكفيلة بالقضاء عليه، أو على الأقل إضعاف أثره في المجتمعات الإسلامية، وفصله كليّا عن الدولة على غرار ما فعل في تركيا على يد مصطفى كمال أتاتورك؛ بعد أن أُلغيت الخلافة العثمانية رسميا في شهر مارس ١٩٢٤م."٣٥"

وكان له في ذلك عدّة خطوات منها: تقليص المناهج الدينية وجعلها خواء، وتشويه صورة رجل الإسلام إعلاميا، وبثّ الشائعات حول الشخصيات الإسلامية، والربط الجائر بين الإسلام والإرهاب، وبذل جهوداً مضنية لصرف الناس عن دينهم؛ فأنفق الأموال الطائلة في تنظيم الدورات والمهرجانات الرياضية والفنية في العالم، وأصبح يصوّر الفنانين والرياضيين على أنهم صفوة المجتمع ونجومه الجديرين وحدهم باقتداء غيرهم بهم.

٦) إضعاف اللغة العربية: وفي سبيل نجاح مخططه السابق في النيل من الدين الإسلامي؛ كان لابدّ من إضعاف اللغة العربية، ومحاولة القضاء عليها بكل سبيل ممكن؛ إذ أن اللغة العربية شعيرة من شعائر الإسلام، يقول ابن تيمية "فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله"."٣٦"

٧) تفتيت وحدة الأمة:. ورأى العدو ضرورة تفتيت وحدة الأمة فحقّق شيئا مما أراد، إما عن طريق إشعال فتيل النزاع بين الدول العربية والإسلامية على الحدود تارة، أو عن طريق النزاع حول مصادر المياه... وغير ذلك.

وقد تسبب هذا النزاع في اتساع هوة الخلاف بين الأشقاء ودول الجوار، فقامت بعض الحروب بينهم، وصارت كل دولة تتربّص بأختها، والتبس على الكثيرين معرفة العدو من الصديق، منشغلين عن العدو الحقيقي الذي يتربّص بالجميع ليفتك بهم ويستأصل شأفتهم.

٨) استنزاف الطاقات: رأى العدو أيضا استنزاف الطاقات العربية والإسلامية وحرمان العالم العربي والإسلامي منها، ليسلّم له أمره، ويسقط سريعا أمام هجماته، ولكي لا تبقى لديه طاقات فكرية أو اقتصادية أو عسكرية أو بشرية لتقادم مخططات هذا الاستعمار، فعمد إلى تدمير الاقتصاد في ماليزيا واندنوسيا، وضرب الحصار الاقتصادي حول العراق والسودان وليبيا وسوريا، وقام بسرقة المياه والاستيلاء عليها عنوة من الأردن وسوريا والعراق، ودبّر الخطط لاستنزاف الطاقة النفطية، ويتآمر على تدني سعر برميل النفط... "٣٧"

وهذه أهم مخططات الأعداء في تحقيق أهدافهم ومنها: الهزيمة النفسية.

وفي جعبته الكثير، فذراعه طويلة، وعزيمته لا تفتر وقلبه لا يرحم، ومن العجيب أنه لا يملّ ولا ييأس، لكن هيهات هيهات فأمتنا أمامها الفرصة سانحة بما تملك من مقومات مادية ومعنوية. إذا أرادت بإخلاص وثبات لتردّ غروره، وتُحبط مخططاته، وتأمن بوائقه، والمهمّ التخطيط الجيد والتذرع بالصبر والأمل والحذر واليقين في نصر الله تعالى بعد تحقيق أسبابه.

المبحث الثالث

((صور تاريخية للهزيمة النفسية، وعلاجها))

المطلب الأول: صور من الهزيمة النفسية

إذا نظرنا في تاريخ المسلمين وخاصة في حقب زمنية معينة نرى الأمة قد استسلمت للوهن "حب الدنيا وكراهية الموت".

تؤكّد هذه النظرة أن الذي يجري في الأمة الآن وآنذاك إنما هو في الحقيقة عقوبات مستحقة، ولذلك يبعث الله تعالى للأمة من يوقظها من سباتها العميق، سواء كان عدواً من الخارج أو اضطرابا في الداخل، وهناك بعض الصور تؤكد هذا، منها:

(١) الغارات التتارية:

كانت غارة التتار كاسحة... خرّبت بغداد وقتلت أكثر من مليون مسلم حسب رواية ابن كثير؛ ولم يسلم من القتل إلا من اختفى في بئر أو قناة!! وقتل الخليفة رفساً وركلاً بأقدام التتار... وجرى النهر أربعين ليلة أحمر اللون من كثرة ما أريق فيه من دماء المسلمين.

فهل كانت قوة التتار وحدها هي السبب وراء هذه المذبحة؟! أم إن الخيانة والتآمر وبطانة السوء من جانب، وضعف الأمة من جانب آخر هو السبب المباشر والأقوى.

إن ابن كثير يحدّثنا أمراً عجباً... يحدثنا أن جنديا تتريا أراد قتل مسلم، ولم يكن معه(أي التتري) سلاح... فقال للمسلم: ابق هنا لا تتحرك!!

فبقي المسلم بسبب الهزيمة النفسية حتى غاب الجندي التتري، ثمّ عاد وبيده السلاح فذبحه!!... هكذا... لم يُبد المسلم أيّ مقاومة... حتى لو كانت هذه المقاومة مجرد الفرار!!

بل إن ابن كثير (رحمه الله) يحكي لنا قصة أخرى أقسى وأكثر دلالة على أن من يهزمه عدوه من داخله لا يبقى أمامه إلا أن يصفّي ساحة المواجهة معه من فلوله العاجزة المذعورة دون جهد أو تعب...

يحكي لنا ابن كثير: أن ملثّماً من جنود التتار دخل خاناً فيه الكثير من المسلمين، فبدأ في قتلهم... وهو واحد وهم كثرة... وهم لا يفعلون شيئا إلا أن يسلّموا رقابهم للذبح... حتى رأى أحدهم أنّ من يقوم بقتل الجميع هي فتاة ضعيفة!! فاجتمعوا عليها فقتلوها!!"٣٨"

ويتساءل المرء: ما الفرق بين أن تكون فتاة ضعيفة أو رجلا قويا في مواجهة هذه الكثرة من المسلمين؟! ولكنّه الوهن... والهزيمة النفسية، التي تُوجد في النفوس الرهبة والخوف، فتشلّها عن المواجهة، وتقعدها عن المجاهدة، فتلقي بسلاحها قبل أن تبدأ المعركة!!

(٢) سقوط الأندلس:

ظهرت بوادر السقوط في الأندلس على مستوى الفرد والأمة، بدايةً من التناحر والصراع على السلطة؛ وإقامة الكيانات الصغيرة، والاستعانة بأعداء الله لحماية تلك الكيانات الهزيلة...

وكانت هذه الأسباب وغيرها من الأسباب التي نشأت في داخل الأمة هي التي أعطت إشارة العمل والقوة لأعداء الأمة فقاموا بتفريغ كل حقدهم على الإسلام والمسلمين... ومن ثم سقطت الأندلس!!"٣٩".

(٣) سقوط آخر خلافة:

الدارس لسقوط الخلافة العثمانية على يد كمال أتاتورك يوقن أن هذا الرجل لم يكن يملك قوة خارقة،أو يستند إلى قوة لا تقهر تمكّنه من إسقاط ذلك الكيان...

وإنما كان السقوط بسبب داخلي هو الشيخوخة السياسية لدولة الخلافة بسبب الاستبداد، والشلل العلمي بسبب إقفال باب الاجتهاد، فأصبحت الأمة عالة على غيرها... فعاش كل فرد فيها همّه الفردي في الطعام والشراب والمسكن...

ومن ثمّ: تحولّت الأمة إلى أمّة ميتة؛ لم يدلّنا على موتها إلا (كمال أتاتورك)، الذي قام بدور دابة الأرض"٤٠"، كما حصل ذلك في قصة موت سليمان(عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾.سبأ ١.

المطلب الثاني: علاج الهزيمة النفسية:ـ

لابدّ للأمة من وقفة تأمل قبل فوات الأوان، فالأمر جلل، والخطب فادح، وما أحوج أمتنا إلى مثل هذه الوقفة المتأنية لتتفقّد أحوالها، وتشخص أدواءها، وتتعرف أسباب كبوتها وضعفها.

فالهزيمة النفسية من أشدّ الأمراض خطرا على صحة الأمة، لأن المريض النفسي قد لا يشعر أنه مريض لخفاء مرضه ومن ثمّ يترك المرض يستفحل ويستشري حتى يتمكّن منه، وساعتها لن يجدي معه دواء.

فالفرصة أمام أمتنا سانحة لأنها تملك مقومات النهوض المادية والمعنوية، وللخروج من هذه الأزمة النفسية المدمّرة، هناك أمور مهمة ينبغي مراعاتها، والسير فيها، من أهمها:

١. العودة الصادقة الجادة إلى العقيدة الصحيحة بشمولها وكمالها.

٢. الاعتزاز بهذا الدين، لأن من أجله خلق الله السماوات والأرض، وخلق الجنة والنار، وأنزل الكتب وأرسل الرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

٣. نبذ الفرقة وتوحيد الصفّ على منهج كتاب الله تعالى، وسنّة رسولهﷺ.

٤. العودة الصادقة إلى أخلاق الإسلام، وأهمها: العمل بالعلم؛ فأعظم خدمة نقدمها اليوم لديننا هي: أن نشهد له شهادة عظيمة عملية على ارض الواقع.

٥. فهم الإسلام بشموله وكماله، وإعداد المسلمين المتخصصين في كلّ المجالات العلمية والدعوية، وخدمة الإسلام كلٌّ من موقعه.

٦. تطهير أنفسنا من الضعف وحب الدنيا وكراهية الموت ، وترك حب الذات.

٧. العمل بكل ما أُوتينا من قوة، وبكلّ وسيلة ممكنة لتبصير الأمة بالأخطار التي تهددها، وتهدد كلّ فرد من أفرادها.

٨. الجهاد بمعناه الشامل؛ بدءً من جهاد النفس والهوى والشيطان والدنيا؛ ثمّ بعد ذلك يأتي الجهاد الذي به عزّ الله تعالى الأمة، والذي جعله رسولهﷺ ذروة سنام الإسلام.

ولابدّ من الانتصار على الشيطان والهوى والنفس كي نستطيع النصر على الأعداء، ولي أمل كبير، وثقة عظيمة في أن نجاحا كبيرا سيتحقّق من جراء الأثر الايجابي للعلاج، وأن شفاء الأمة من هذه الهزيمة النفسية سيتمّ بإذن الله تعالى من هذا المرض الخطير، وستمضي الأمة بإذن الله تُعيد سيرة الأوائل الصالحين وأمجادهم الغابرة.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.الصف ٨

النتائج والتوصيات

بعد توفيق الله تعالى لي بإكمال هذا البحث المتواضع، أستطيع القول بأني قد توصلت إلى نتائج، أوجزها بما يأتي:

١. الصراع بين الحق والباطل قائم بقيام الحياة وينتهي بنهايتها، والأيام دول بينهما.
٢. بُليت الأمة بأخطر نكبة وأزمة في العصر الحديث وهي "الهزيمة النفسية".
٣. الهزيمة النفسية أشد فتكاً من الاستعمار العسكري، لأن بها تفقد الأمة كيانها وتشعر بالتخبط.
٤. للهزيمة النفسية أسباب خطيرة من أهمها: الوهن الداخلي، وضعف الإيمان بالله تعالى.
٥. تنوّع وسائل وأساليب تحقيق الهزيمة النفسية من إعلام واقتصاد وسياسة وإثارة الرعب والفوضى، وافتعال الأزمات...
٦. ابتليت الأمة بصور كثيرة للهزيمة النفسية وخاصة أيام سقوط بغداد، والأندلس، والخلافة في تركيا.
٧. للخروج من الهزيمة النفسية ينبغي العودة إلى العقيدة الصحيحة بشمولها وكمالها، ونبذ الفرقة وفهم الإسلام، وتطهير أنفسنا من الضعف وحب الدنيا.
٨. تبصير الأمة بالأخطار التي تهدّدها.

هوامش البحث

"١" ينظر مجلة البيان عدد٦٣(١١٩)،المنتدى الإسلامي،لندن،ربيع الأول،١٤٢٢هـ

"٢" المصدر نفسه.

"٣" صحيح مسلم، باب النهي عن قول هلك الناس:١٠٩٩(٢٦٢٣).

"٤" ينظر، صحيح مسلم بشرح النووي، النووي:٦/١٦٦.

"٥" السنن، ابن ماجه :٥٧٧ (٤٠٠٥).

"٦" صحيح البخاري، باب ما ذكر عن بني إسرائيل:٦٣٦ (٣٤٦١).

"٧" صحيح مسلم، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان: ٤١(٨٠).

"٨" صحيح مسلم، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان: ٤٠(٧٨).

"٩" ينظر، إحياء علوم الدين، الغزالي،:٢/٣٢٥.

"١٠" صحيح البخاري، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: ٦٣٦(٣٤٥٦).

"١١" صحيح مسلم، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض:١٢٠١(٢٨٨٩).

"١٢" السنن، أبو داود: باب في تداعي الأمم على الإسلام:٦٠٣(٤٢٩٧).

"١٣" ينظر، البداية والنهاية، ابن كثير: ٤/ ١٢٢.

"١٤" صحيح مسلم، باب نزول عيسى ابن مريم:٧٧ (٢٤٧).

"١٥" ينظر، البداية والنهاية:٧/ ٢٢٦ وما بعدها.

"١٦"ينظر،الكامل في التاريخ، ابن الأثير:٥/ ١٧٨.

"١٧" ينظر،المصدر نفسه: ٣/ ٤٣٠.

"١٨" أبو داود، باب في النهي عن العينة: ٥٠١ (٣٤٦٢).

"١٩" ينظر، الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع، باسم الخفاجي، مجلة البيان،عدد ١٢٦(٥٦)، صفر، ١٤١٩هـ.

"٢٠" الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة، علي محمود العائدي: ١٠٣.

"٢١" الإعلام والعولمة في القرن الحادي والعشرين، عواطف عبد الرحمن: ٧.

"٢٢" الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع: ٥٦.

"٢٣" المصدر نفسه: ٥٨. ٥٩.

"٢٤" الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة: ١٧.

"٢٥" ينظر، المصدر نفسه: ٧٩.

"٢٦" ينظر، الإعلام والعولمة في القرن الحادي والعشرين: ٧.

"٢٧" دليل الصحفي الثالث، هيستر، ترجمة: كمال عبد الرؤوف: ٦٧.

"٢٨" الإعلام والعولمة في القرن الحادي والعشرين: ٨.

"٢٩" ينظر، الحرب النفسية والشائعات، معتز سيد عبد الله: ١٢٩.

"٣٠" الإشاعة، أحمد نوفل : ٣٢٤، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٣هـ.

"٣١" ينظر، الحرب النفسية والشائعات:٦٧ .

"٣٢" ينظر، المصدر نفسه: ٦٨.

"٣٣" ينظر، مجلة البيان، عدد /١٦٣ (١١٩)، ربيع الأول، ١٤٢٢هـ.

"٣٤" ينظر، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، محمد سيد محمد:٢٣٣.

"٣٥" ينظر، المصدر نفسه: ٢٣٤.

"٣٦" اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية: ٢٠٣.

"٣٧" ينظر، مجلة البيان، عدد/ ١٦٣(١٢٠)، ربيع الأول، ١٤٢٢هـ.

"٣٨" ينظر، البداية والنهاية: ٧/ ٢٢٦ وما بعدها.

"٣٩" ينظر، أوراق ذابلة من حضارتنا، عبد الحليم عويس:٣٩، نقلاً عن مجلة البيان،عدد/ ١٠٥ (١٠٢)، جمادى الأولى ، ١٤١٧هـ.

"٤٠" ينظر، إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها، ماجد عرسان الكيلاني:١٣٠، نقلاً عن مجلة البيان ، عدد/ ١٠٥(١٠٢) ، جمادى الأولى،١٤١٧هـ.

مصادر البحث ومراجعه

بعد القرآن الكريم.

١. إحياء علوم الدين،أبو حامد الغزالي، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢. إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها، ماجد عرسان الكيلاني ، نقلاً عن مجلة البيان ، عدد/ ١٠٥(١٠٢) ، جمادى الأولى،١٤١٧هـ.

٣. الإشاعة، أحمد نوفل ، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٣هـ.

٤. الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة، علي محمود العائدي، ط١، مركز الإمارات، أبو ظبي، ١٩٩٢م.

٥. الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع، باسم الخفاجي، مجلة البيان،عدد ١٢٦(٥٦)، صفر، ١٤١٩هـ.

٦. الإعلام والعولمة في القرن الحادي والعشرين، عواطف عبد الرحمن، جامعة عجمان، الإمارات، ٢٠٠٠م.

٧. اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٨. أوراق ذابلة من حضارتنا، عبد الحليم عويس، نقلاً عن مجلة البيان،عدد/ ١٠٥ (١٠٢)، جمادى الأولى ، ١٤١٧هـ.

٩. البداية والنهاية، ابن كثير، ط٦، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٠. الحرب النفسية والشائعات، معتز سيد عبد الله، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٧م.

١١. دليل الصحفي الثالث، هيستر، ترجمة: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية، بيروت، ١٩٨٨م.

١٢. السنن، ابن ماجه ، ط١، دار السلام ، الرياض، ١٩٩٩م.

١٣. السنن، أبو داود، ط١، دار السلام، الرياض، ١٩٩٩م.

١٤. صحيح البخاري،محمد بن اسماعيل البخاري، ط١، دار الكتب العلمية،بيروت، ٢٠٠١م.

١٥. صحيح مسلم،مسلم بن الحجاج، ط١، مؤسسة المختار،القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٦. صحيح مسلم بشرح النووي، النووي:١٦٦/٦، ط١، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٧. الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، محمد سيد محمد، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤هـ.
١٨. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٩. مجلة البيان، عدد٦٣(١١٩)، المنتدى الإسلامي، لندن، ربيع الأول،١٤٢٢هـ.